

## الفصل الرابع عشر:

# المهزومة

عن الانتخاب

والملك

والموطن الأخير

مع الشمس الغاربة، بعد انقضاء أول نهار يشهد انتصار الثورة وتحرر العالم من حكم مانيم، تم دفن الملكة الأم دفناً يليق بها جوار قبر الملك الراحل.. لم يتم الإعلان عن الدفن لأحد وسط عدم استتباب الأمن في المدينة، ولم يحضر الدفن إلا قلة من سكان القصر ومن الجند.. تتقدمهم بي ناريا بصمت.. ويتبعها المستشار وجوين ورئيس الثوار الذي أصرّ على الحضور رغم غياب بقية الثوار..

مضت مراسم الدفن سريعة حتى واروا الجثمان التراب، ثم عاد الركب إلى القصر بحراسة ثلة من الجند.. لم تستغرب بي ناريا عدم قدوم هارولان، فهو يكرهها، كما يكره كل ما يتعلق بالقصر والعائلة المالكة.. لذلك هي لم تتوقع إظهار تعاطف منه حتى من باب المجاملة..

وفور عودتهم، طلبت بي ناريا التحدث مع رئيس الثوار، فوقف الاثنان في شرفة منعزلة في القصر يتطلعون إلى أنوار المدينة التي بدأت تستعد ليلتها الأولى دون ملك.. ثم قالت بي ناريا "هنيئاً لكم.. لقد حققتم هدفكم وانتصرتم على مانيم.. الآن الطريق مفتوح أمامكم لنيل ما تريدون"

علق الرئيس بهدوء "لا نريد إلا ما هو حق لنا.. نريد سلام هيمانيا وأمنها ورخاءها.."

ابتسمت بي ناريا معلقة "تواضع قد تندم عليه في المستقبل"

صمت الرئيس دون إجابة.. فقالت مستردة جديتها "لقد أحبطتم خطتي تماماً واستوليتم على يناساً وطوّعتم جنودها.. فماذا الآن؟ هل تنوي تنفيذ ما خططت له مسبقاً بتشكيل مجلس حكم أم أن الخطة تغيرت؟" أجابها "بل سأمضي في ما خططت له.. وهو الأفضل لكل الأقاليم دون استثناء"

تساءلت "والملك؟ من ستضع فوق العرش هذه المرة؟"

قال مبتسماً "الشعب سيقدر هذا أيضاً.."

فقالت مقطبة "وماذا لو كان اختيار الشعب خاطئاً؟ الشعب لن يرى إلا المظاهر، وقد ينخدع ببضع كلمات منمقة فيختار من هو أسوأ من مانيم"

علق الرئيس "أحب أن أضع ثقتي في الشعب.."

تنهدت قائلة "ولماذا لا أستعيد العرش مادام مجلس الحكم سيضمن لكم العدل الذي ترجونه؟"

لم يعلق بكلمة وابتسامة ترسم على شفثيه، فقالت بشيء من الصرامة "العرش عرشي.. وأنا أحق من أي

شخص آخر به.. ومعاونتي لكم نبعت من إيقاني بحقكم في تقرير مصير هيمانيا، فلن أسعى لظلمكم أبداً.."

قال الرئيس بهدوء "هو ليس عرشك يا بي ناريا.. هذا العرش ملك للشعب كله، وهو المسؤول عن تقرير مصيره"

قالت بحدة "ماذا تعني؟"

قال "سيُجرى استفتاء يضم المملكة كلها بخصوص العرش وهوية الملك القادم.. وحتى تلك اللحظة، عليك

بالصبر.. فمن يدري ما يكون مصير المملكة في الأيام القادمة"

قالت بغضب "ليس لك الحق بفعل هذا.. بأي حق نصبت نفسك مسؤولاً عن تقرير الأمور في يناساً؟"

لم يحتد الرئيس وهو يجيب "ولم أنت غاضبة؟ ألا تحبين أن تري إن كان الشعب سيختارك مرة أخرى أم لا؟ أم أن ثقتك تزعزعت بخصوص هذا الأمر؟"  
صاحت بحق "لست أخشاك أو أخشى أحداً آخر.. لكني أراك قد تجاوزت حدودك..  
ثم استدارت مضيفة بحدة "كنت أتمنى ألا تقلل من شأنى بهذه الطريقة، فستندم على هذا..  
وغادرت بشكل عاصف إلى جناحها، فيما ابتسم الرئيس معلقاً "لو كنت واثقة فلماذا تهربين من الجدل يا بي ناريا؟"

\*\*\*\*\*

في اليوم التالي لنصر الثورة، اجتمع رئيس الثوار بالمستشار السابق ومعه عدد من الرجال الثقة العاملين في القصر والمدينة.. فقال رئيس الثوار "أنتم تعلمون أننا نطالب بتشكيل مجلس للحكم، يشارك الملك الجديد في الحكم ويمنع الظلم أن يتكرر من جديد.. نريد أعضاء المجلس أن يتكونوا من ممثلين لأقاليم المملكة كلها.. ويتم هذا عبر انتخاب كل إقليم لمثله على حده..  
علق المستشار "هذا رائع نظرياً.. لكن لن يخلو الأمر من الخداع والتزييف بغية الحصول على هذا المنصب الذي سيحصل صاحبه على الكثير من المميزات هنا وفي إقليمه..  
قال الرئيس بحزم "لهذا يجب ألا يعطى العضو نفسه أية صلاحيات.. المجلس عمله مراقبة قرارات الملك وتحقيق العدالة والمساواة بين الأقاليم..  
صمت المستشار مفكراً والرئيس يضيف "هذه عملية ستطول، لذلك يجب أن يتم تشكيل مجلس مؤقت من رجال ثقة في يناساً حتى يتم اختيار الملك الجديد وتشكيل المجلس الدائم..  
فقال المستشار "إذن ليس هناك من هو أصلح منك لرئاسة المجلس المؤقت.. وأظن الثوار جميعهم والجنود الذين شهدوا ثورتك سيساندون هذا الرأي..  
هز الرئيس رأسه نفياً وقال "لا أرغب بذلك.. لقد بذلت ما يكفي في هذه الثورة وجلّ همي الآن العودة إلى هيمانيا فبقائي هنا قد طال..  
قال المستشار "لن نرضى بأن تستبعد أنت من المجلس.. ستكون عضواً فيه على الأقل..  
قال الرئيس مبتسماً "إن وعدتني بأن تكون عضواً أنت أيضاً..  
قال المستشار "لا، لا يمكنني أن أكون في وظيفة غير مستشار الملك.. هذا إن رضي بي الملك الجديد..  
ربت الرئيس على كتفه وأحد الرجال يقول "وماذا عن بقية الأعضاء؟ ما الذي يضمن ألا يسيئوا استخدام سلطاتهم المؤقتة؟"  
قال الرئيس "يجب أن نشق فيهم.. وفي الوقت الراهن لن يغادر الثوار يناساً حتى يتم انتخاب الملك الجديد الذي سيتأكد من سير عملية تشكيل المجلس بالأمانة المطلوبة..  
- 223 -

غمغم المستشار "وبي ناريا؟ ماذا سيكون مصيرها؟"

قال الرجل "هذا رهن بتقبلها للأمر.. إن اختارها الشعب كما تدّعي فلن يعترض أحد على ذلك.. لكن إن حاولت اعتراض تشكيل المجلس فيجب أن يتم ردعها ومنعها من تعطيل العملية"

صمت المستشار وهو يفكر في أمر بي ناريا.. لقد كان شديد الإخلاص للملك الراحل، وبي ناريا بمثابة ابنة صديقه المقرب.. لذلك لا يتمنى أن يلحقها أي سوء أو ضرر.. قطع أفكاره صوت الرئيس الذي قال مبتسماً "لا تقلق.. لن يمسه شخص بسوء أبداً.."

علق المستشار "هل تجد قراءة الأفكار؟ بدأت أخشاك يا رجل.."

ضحك الرئيس لتعليقه ثم قال "لأبد أن أجيد ذلك مادمت سأقود عينات مختلفة من البشر.. الثورة والثوار قد علموني الكثير مما أتمتع به الآن.."

بعد جلسة طويلة، تم إعلان تشكيل مجلس الحكم المؤقت في المدينة، برئاسة أحد الوزراء القدامى الذي تقاعد من عمله بعد مدة طويلة قضائها في خدمة الملك السابق ووالده، وعضوية عشر رجال موثوقين من ضمنهم رئيس الثوار.. ولدى إعلان الخبر تدافع الثوار لتهنئة رئيسهم الذي ابتسم معلقاً "يبدو أنكم تستمتعون برؤيتي متورطاً أكثر مما أنا فيه.."

علق تيمين ضاحكاً "بالفعل.. هذا جزأوك الوحيد لدفعنا خوض هذه الثورة ولكل ما قاسيناه.."

تساءل الرئيس متلفتاً "وأين هارولان؟ إنه مختفٍ منذ البارحة.."

أجاب أحد الرجال "لقد رأيته يخرج من القصر مساء البارحة ولم يعد حتى الآن.."

قرب الرئيس قائلاً "هل أنتم متأكدون أنه في المدينة؟ ألم يخبركم إلى أين هو ذاهب؟"

قال تيمين "لا أظنه سيغادر دون إعلامك بهذا.."

غمغم الرئيس "لست أدري.. لا أعلم ما يدور حقاً برأس ذلك الرجل.."

سمع صوتاً من خلفهم يقول بهدوء "وهل يمكن أن أغادر دون إذن رئيسي؟ هذا محال.."

التفتوا ليروا هارولان يقف خلفهم بوجه هادئ وقد اختفى الصراع والحيرة التي علتاه منذ مدة ليست

بالقصيرة.. فقال الرئيس "ما دمت لا تخالف رئيسك، إذن لدي مهمة محدودة لك.."

رفع هارولان حاجبيه بتساؤل، لكن لم تجاوبه إلا ابتسامة غامضة من الرئيس..

\*\*\*\*\*

في محطة البث، وبعد أن تم إصلاح برج البث بسرعة كبيرة بالاستعانة بالمهندسين السابقين، تساءل هارولان

بريبة وهو ينظر لرئيس الثوار "ولماذا يجب أن يكون أنا؟"

قال الرئيس بابتسامة "الكل أعجب بخطابك السابق.. أنت تملك هالة من الإقناع يصعب على الآخرين رفضها..

لذلك يجب أن تقوم بهذا أنت.."

بدا عدم الاقتناع على وجه هارولان وهو يغمغم "وأنت لا تملك هذه الهالة، أتعلم ذلك؟.. فلم تقنعني بكلمة مما

قلته..”

وجد تيمين يدفعه من الخلف وهو يقول مبتسماً “مم أنت خائف؟ أتخجل من الظهور أمام العالم لقول هذه الرسالة القصيرة؟”

قال هارولان بضيق “بل يجب أن يفعل هذا أحد أعضاء المجلس.. فهذا أكثر إقناعاً.. لقد تحدثت عن الثوار سابقاً، لكن بأي صفة أتحدث عن مجلس الحكم وأنا لست طرفاً فيه؟..”

انشغل الاثنان بمحاولة إقناعه فيما يعمل بضع رجال ممن كانوا ضمن طاقم البث السابق على تجهيز الآلات والمعدات بانتظار لحظة البدء..

وفي القصر، حيث اعتزلت بي ناريا الجميع في جناحها وعدد قليل من وصيفاتها مسموح لهن بالدخول وخدمتها.. كانت تدور قلقة متوجسة، تتأمل الشاشة الكبيرة السوداء المعلقة في جانب من جناحها.. كانت تعلم أن هذا اليوم هو اليوم الموعود لإطلاق رسالة مجلس الحكم للعالم كله، حيث سيتم استفتاء الشعب في الأقاليم قاطبة لاختيار الملك الذي سيجلس على عرش المملكة..

ورغم الثقة التي أظهرتها أمام رئيس الثوار، إلا أن القلق ينهشها وهي لم تعرف مصيرها بعد.. لم تستطع مواجهة المستشار ومن بقي من الوزراء ونبلاء القصر.. وحتى الثوار فضلت الابتعاد عنهم وانتظار النتيجة وحيدة هنا..

بعد فترة من الوقت بدت كدهر كامل، رأت الشاشة تنير معلنة بدء الرسالة التي تبث إلى العالم كله في نفس اللحظة.. خفق قلبها للحظات وهي ترى وجه هارولان يرتسم على الشاشة، ورغم تعجبها من اختياره هو لينقل هذه الرسالة، إلا أنها ظلت تتأمل ملامحه وشيء من الحزن يقبض صدرها.. انقضى يومان لم تره فيهما أو تسمع صوته منذ ليلة مقتل مانيم، ورغم أنها لم تنسه للحظة واحدة، إلا أن كبرياءها منعها من البحث عنه أو حتى سؤال أحد عن أخباره..

بعد تتنح قصير، ارتفع صوت هارولان الجمهوري يقول “يا أبناء الكوكب البلوري المجيد.. ها نحن نخاطبكم مجدداً وكلنا أمل بحسن تقديركم واختياركم.. لقد انتصرت الثورة كما تعلمون، وتم القضاء على الطاغية الذي استعبدنا دون وجه حق.. ولكي نضمن العدل والمساواة للجميع، تشكّل مجلس حكم مؤقت مكون من رجال ثقة يتسمون بالعدل والأمانة، وذلك حتى يقوم كل إقليم في الكوكب بإرسال مندوب من أبناءه ليتخذ موقفاً في مجلس الحكم مساوياً للبقية.. الآن لم يبق إلا انتخاب ملك للمملكة هذه، فمجلس الحكم غير كاف لتسيير أمور المملكة كلها.. حاكم نتمنى أن يكون عادلاً ويتعظ ممن سبقوه فيسعى لنشر الحق والمساواة بين الأقاليم دون تفضيل أحدها على غيره.. بي ناريا مصرّة على استعادة العرش الذي فقدته، فإن كنتم تريدونها ملكة من جديد فلن يعترض أحد على استعادتها إياه، وإن رغبتم بتولية شخص آخر فسيساندكم مجلس الحكم وثوار هيمانيا جميعاً حتى نتأكد أن إرادة الشعب ستطبق دون اعتراض من أحد..”

وتنهذ وهو يضيف “كل ما نرجوه أن تحسنوا الاختيار.. لا تجعلوا المظاهر الخادعة والكلمات المنمقة تعمي أعينكم عن الحق.. نريد حاكماً عادلاً، لا نندم معه على ما خسرناه ومن فقدناه في هذه الثورة.. لقد بذلنا أعلى

ما نملك لنحصل على التغيير، فلا تضيعوا تضحيتنا هباءً..”

بدا أنه يتلو رسالته من وحي اللحظة، ولا يعتمد على كلمات مكتوبة مسبقاً.. ورغم ألمها لما يحدث ولأنها لا تملك تحديد مصيرها بنفسها، ورغم مرارتها وهي ترى هارولان يتحدث بحماس وكأنه لا يحمل همّاً ولا يبدو عليه حزن لفارقتها، إلا أنها لم ترفع بصرها عن الشاشة وهي في عجب من أمرها.. أل هذه الدرجة تعلقت به وأحبته حتى ليكفيها أن تراه من بعيد لتسكن آلام قلبها؟ أهذا ما كانت تستهزئ به وتسخر من انصياع الآخرين له متحدية نفسها أنها لن تسقط في شركه؟ لكنها لم تسقط، بل غرقت غرقاً كاملاً لا ينفعها أي علاج معه.. بعد انتهاء الرسالة، زفرت بي ناريا بقلق وهي تلقي بنفسها على أقرب كرسي وتغمض عينيها.. يجب أن تبعد هارولان عن ذهنها تماماً.. فالآن، هي مجرد أيام ويتحدد مصيرها، وما عادت بالثقة التي تتفاخر بها أن الشعب سيختارها دون شك.. لكن إن لم يفعل، فمن سيختار؟ وما مصيرها هي إذ ذاك؟..

\*\*\*\*\*

لم يمض يومان على بدء الاستفتاء الذي عمّ الكوكب كله بأقاليمه القاصية والدانية، والتي تحمس لها الشعب تحمساً كبيراً وهو يشعر أنه للمرة الأولى يمكنه تحديد مصيره بنفسه، حتى كان المستشار ينظر للصناديق الضخمة التي يتم إنزالها من إحدى الطائرات القادمة من ولاية سولان وهو يغمغم "يبدو أن العملية تسير بأسرع مما توقعت.. الكثيرون قد تحمسوا وأدلو بصوتهم منذ اليوم الأول دون إبطاء..” توقع تعليقاً من رئيس الثوار الواقف قرب، لكنه عوضاً عن هذا سمعه يقول بصرامة "مستحيل..” التفت إليه ليجده يخاطب هارولان الواقف أمامه مقطب الوجه، ثم قال "أأنت جاد في رغبتك بالرحيل؟ نحن لازلنا بحاجة لك هنا.. فالثورة لم تنته بعد ولن تنتهي إلا بتعيين الملك الجديد..” قال هارولان بضيق "وجودي لا داعي له.. اسمح لي بالرحيل ما دمت أملك من الصبر ما يكفيني لاستئذائك.. لكن متى انعدم صبري فلن تجد لي أثراً في يانّا كلها..”

حاول الرئيس التلطف بحديثه وهو يغمغم "وبي ناريا.. ستفادر قبل أن تعلم ما هو مصيرها؟” أشاح هارولان بوجهه بضيق دون أن يجيب والمستشار ينظر لهما بتعجب.. ثم سمع هارولان يغمغم "لا يمكنني البقاء هنا.. هذا القصر البغيض لا يحمل إلا رائحة مانيم.. ولا أطيق تلك الرائحة أبداً..” زفر الرئيس بحيرة وهو لا يدري ما الأسلوب الذي يستخدمه لإقناع هارولان بالبقاء.. وقبل أن يفتح فمه رأى جوين قادمة بلهفة تجاه هارولان فتحنّني رأسها للرئيس والمستشار بعجلة، قبل أن تقول مخاطبة هارولان "أرجوك.. هل أستطيع التحدث إليك قليلاً؟”

قال هارولان دون أن ينظر لها "لا أعتقد أنك تملكين ما قد يهمني..” قالت بتوسل "أرجوك.. أنا بحاجة لمساعدتك.. إنه يخص بي ناريا..” لم يعلق بكلمة وإن بدا عليه الاهتمام كما بدا على الرئيس والمستشار، فقالت جوين بتوتر "لقد عزلت نفسها عن

الجميع منذ ليلة دفن الملكة الأم.. وترفض الخروج أو السماح لأحد بالدخول عليها سوى وعدد قليل من الوصيفات.. إنها بحالة سيئة، وموضوع الاستفتاء هذا يزيد لها إرهاقاً وتوتراً..

تساءل هارولان "وما المطلوب مني فعله بالضبط؟"

قالت برجاء "اذهب إليها وحاول إقناعها بالخروج.. أخبرها أن ما تفعله لا فائدة منه وسيضرّ بها.. أرجوك، إنها لا تستمع لكلمة مما أقوله، وهي بالكاد تتناول شيئاً من الطعام أو تحصل على دقائق معدودة من النوم.. لو استمر بها الحال هكذا فستنهار قريباً.."

صمت هارولان بدون تعليق وهي تضيف "قد تستمع إليك وتغير رأيها.. إنها تهتم لأمرك، فحاول مساعدتها قليلاً.."

قال هارولان مشيحاً "لست في حالة تسمح بمساعدة أحد.."

وغادر بصمت وجوين تهتف خلفه "لكن...."

رفع يده لتكف عن محادثته دون أن يلتفت، فيما التفتت جوين بشيء من اليأس تنقل بصرها بين الرئيس والمستشار، فغمغم المستشار "سأذهب إليها لاحقاً.. إن كل ما مرت به كان قاسياً جداً.. فلا عجب أن تكون ردة فعلها هكذا.."

صمتت جوين بدورها وهي تحني رأسها من جديد وتغادر، فيما وجد الرئيس المستشار يميل تجاهه وهو يسأل بشيء من الفضول "ما الذي بين ذلك الشاب وبي ناريا حقاً؟"

\*\*\*\*\*

في ذلك المساء، استأذن المستشار للدخول على بي ناريا، وبعد محاولة طويلة من جوين سمحت له بي ناريا بالدخول.. فدلف جناحها الهادئ وشبه المظلم، ليجدها جالسة في جانب منه مرتدية ثياباً بسيطة بغير بذخ، وجهها وشعرها بلا زينة كما اعتادها، والشحوب يغزو بشرتها المشرقة عادة.. فاقترب منها المستشار قائلاً بلطف "ما الأمر يا ابنتي؟ حتى متى ستحجزين نفسك في هذا الجناح الكئيب وتعزلين العالم كله؟ لقد أقلقنا جميعاً حتى بتنا نخاف مما قد تفعلينه بنفسك.."

غمغمت بي ناريا بهدوء "وما الذي قد أفعله بنفسي أكثر مما فعله مانيم بي؟ لو كنت تظنني سأقتل نفسي فلا تخف.. من هي مثلي لا يحق لها ارتكاب هذه الجريمة.."

جلس قريباً منها وهو يقول "لم يكن والداك ليرضيا برؤيتك هكذا.. انهضي واستعيدي نشاطك، مهما كان ما اعتزلتنا لأجله فهو لا يستحق هذا العناء.. صدقيني يا ابنتي.."

التفتت إليه متسائلة "أتعني أن عليّ التنازل عن العرش بطيب خاطر؟"

قال متنهداً "لست أعني هذا، وأنا مدرك أنك لن تفعلي هذا بتاتاً، لكن على الأقل اعتني بصحتك أكثر، فإذا آل إليك العرش من جديد ستملكينه وأنت بكامل قوتك وصفاء ذهنك.. أما الآن، فأنت بحالتك هذه أضعف من أن

تتولي تلك المهمة.."

صمتت بي ناريا وجوين قريبة تنظر للمستشار بتوسل ليحاول إقناعها أكثر.. لكنهما سمعا بي ناريا تقول "لا أستطيع.. لا تجبراني على ما سيسيء إليّ أكثر من هذا.. عندما تظهر نتيجة الاستفتاء، سأترك عزلتي هذه بدون إيعاز من أحد.. الآن أتركاني ولا تحاولا دفعي لفعل ما لا أريده.."

تنهد المستشار وهو يقف قائلاً "على الأقل اهتمي بغذائك وراحتك.. لا ترهقي جسدك أكثر مما فعلت بك الأيام السابقة.."

وغادر الجناح بصمت تاركاً بي ناريا مستغرقة في أفكارها دون أن تبذل جهداً لمقاومة الكآبة التي حلت عليها منذ موت والدتها وسقوط العرش بيد أعدائها الثوار..

\*\*\*\*\*

جلس هارولان في إحدى الشرفات التي تقع على برج عالٍ من أبراج القصر.. كان هواء ينامسا البارد يهبّ عابثاً بشعره وهو يتأمل المدينة المترامية الأطراف تحت القصر العالي.. كان الظلام قد حلّ وأنوار المدينة تلتصع كجواهر صغيرة في بحر أسود.. بالإضافة لنور القصر البلوري الأزرق الذي يجعله مبهرأً ويبهج الناظر إليه.. لكن بدا هارولان لعيني تيمين الذي اقترب منه أبعد ما يكون عن البهجة والراحة.. فقال وهو يقف قرب "أهذا الموقع الذي تختفي فيه منذ يومين؟ الرئيس يبحث عنك دون انقطاع.. أظنه يخشى أن تتبخر فجأة من المدينة دون أي خبر.."

لم يعلق هارولان وهو سارح البصر في الأفق البعيد.. فضربه تيمين بشيء من القوة على كتفه قائلاً "ما بالك يا رجل؟ لقد أتممت ما حلمت به منذ سنين.. المفترض أن تكون الآن سعيداً وتلقي كل تلك الذكريات السيئة خلفك" تنهد هارولان قائلاً "هذا ما يقوله من لم يجرب الانتقام.. بالفعل أنا سعيد لانتقامي من مانيم.. سعيد لأنه لم يسقط إلا على يدي.. ولو عادت الدنيا لتلك اللحظة من جديد فسأكرر ما فعلته دون ندم.. لكن هذا لا يرفع النقل الذي أشعر به على كاهلي.. موتهم.. وموته.. كل هذا انقضى في ثوانٍ معدودة.. ما السبب الذي منح مانيم الحق في سلب حياتهم؟.. ما الذي استفاده حقاً من موتهم؟ وما الذي استفدته أنا من موته هو؟ قلبي مثقل، وضميري مثقل بأني السبب في موت أهلي جميعاً.. الانتقام لا يريح صاحبه كما قد يتوقع البعض.. بل هو يزيد ثقلًا على قلب صاحبه.. وهو أكثر مما قد أطيع"

ابتسم تيمين معلقاً "ألهذا السبب تبعد نفسك عن بي ناريا؟"

تنهد هارولان مطرقاً لثوانٍ وبدا أنه لن يجيب.. ثم قال بصوت مريّر "لا أستطيع مواجهتها وأنا في هذه الحالة.. لم أغفر لها كذبها عليّ، ولا أستطيع نسيان كل شيء والعودة لما كنت عليه في هيமானيا.. كما أنني لا أظنها أحببت رجلاً كئيباً غارقاً في همومه كما أنا عليه الآن.."

علق تيمين "وربما لو حاولت وصل ما انقطع بينكما سيزول كل هذا الهم الذي أغرقت نفسك فيه بإرادتك.. أنت



لا تريد مسامحتها بإرادتك، ولا تريد تجاوز غمك بإرادتك.. فلا تدّعي أنك لا تستطيع.."  
وربت على كتفه مضيقاً "إن لم تحاول، فلن تعلم أبداً ما يمكنك فعله بإرادتك هذه.. ولا تنس أن بقاؤنا في  
يناساً مؤقت.. فهل تريد المغادرة ونسيان بي ناريا حقاً؟"  
صمت هارولان وتيمين يستجيب لصمته.. عالماً أن عشرات الأفكار ولابد تتدافع في عقله.. فإلى أيها سيستجيب؟  
ورغم أن تيمين يعلم الإجابة تمام العلم، إلا أنه ظل صامتاً تاركاً هارولان يتخذ قراره بنفسه..

\*\*\*\*\*

اقتحمت جوين جناح بي ناريا هاتفة "نتيجة الاستفتاء ظهرت يا مولاتي.."  
هبت بي ناريا واقفة ورجفة تعترى جسدها.. كان القلق والتوتر قد أكلا عقلها طوال الأسبوع الفائت، حتى ظنت  
أن عقلها سينفجر لكثرة التفكير.. أما الآن، فالنتيجة التي تنتظرها، قد ظهرت أخيراً.. ورغم كل ما تتظاهر به  
من ثقة دائمة أنها لابد هي المنتصرة.. أنها الملكة الحقيقية التي لن يرضى الشعب بغيرها، فإن صوتها ارتجف  
رغماً عنها وهي تسأل "والنتيجة؟"

قالت جوين وحماسها لا يخفت "لا نعلم بعد.. المجلس يحتفظ بالنتيجة ولم يعلنها بعد.."  
رمت بي ناريا جسدها على كرسيها مجدداً وهي تغمغم وكأنها تحاول إقناع نفسها أكثر من جوين "مهما  
يكن.. النتيجة معروفة سلفاً.. بعد مانيم، الشعب قد عرف ميزتي ولن يرضى غيري على العرش.."  
صمتت جوين بدون تعليق، فلم ترغب بقول ما قد تضيق به بي ناريا.. وحتى بعد المدة الطويلة التي عرفت بها،  
لا زالت تندهش من ثقة بي ناريا المطلقة والزائدة عن الحد، كما يبدو لها.. من أين تأتي بثقتها هذه التي لم  
تختل حتى بعد كل هذه الأحداث التي مرت بها؟..  
سمعت بي ناريا تقول لها "اتركيني بمفردي.. وعندما تظهر نتيجة الاستفتاء، أبلغيني بها فوراً.."  
قالت جوين "أمرك يا مولاتي"

وغادرت الجناح تاركة بي ناريا تنعزل مرة أخرى في جناحها وبين ثنايا أفكارها..  
في تلك الأثناء، وما إن انفض اجتماع المجلس المغلق الذي دام لمدة طويلة، والذي حضر هارولان الجزء الأخير  
منه بطلب من رئيس الثوار، حتى انطلق هارولان بحثاً عن بي ناريا.. قابل جوين في طريقه التي قالت له  
مبتسمة أن بي ناريا معتكفة في جناحها بانتظار سماع نتيجة الاستفتاء.. فأسرع إلى الجناح الذي يحفظ  
موقعه كما يحفظ موقع كل جزء من أجزاء القصر..

أما بي ناريا.. فعندما أبلغتها إحدى وصيفاتها أن هارولان يطلب مقابلتها غلبها التعجب والتوتر.. كان يتفادى  
لقاءها منذ وصولهم إلى القصر وقضائهم على مانيم، لذلك كان أمر قدومه إليها يثير الدهشة ولا شك.. هل هو  
متعلق بنتيجة الاستفتاء؟ لو كانت هي المختاره، هل سيعترض على هذا؟..

سمحت له بالدخول وظلت تسير في أرجاء الجناح متوترة حتى وقفت قرب النافذة تنظر إلى المدينة الأقرب إلى  
قلعها.. ولما سمعت صوت خطواته التي تعرفها التفتت إليه حيث وقف في منتصف الجناح.. كان يبدو أرتب

هنداماً، وإن فضّل ارتداء أبسط الملابس مقارنة بما يرتديه سكان القصر.. وقد وقف مثبتاً بصره عليها، وهي التي لاحظت أنه منذ معرفته لهويتها الحقيقية كان يتجنب النظر إليها مباشرة ما استطاع.. اختلجت مشاعرها لرؤيته بعد انقطاع طال، وإن سرعان ما أثبت نفسها لهذا وهي تؤكد لنفسها ألا فائدة مما تشعر به تجاه رجل يكرها.. لكن رغماً عنها شعرت بشيء من السعادة لرؤيته وهي تتأمل وجهه الذي كان يحمل ألف معنى ومعنى، وعيناه تبوحان بألف كلمة وكلمة.. فقالت بابتسامة صغيرة "ما الأمر الذي يشرفني بزيارتك هذه؟" وجدته يخطو خطوات واسعة تجاهها مما جعلها تتراجع غريزياً وعيناها متسعان خوفاً من أن يسعى لإيذاها كما هدد دائماً.. لكنها فوجئت به يشدها إليه ويحتضنها بقوة بصمت للحظات.. أخذتها الدهشة فتجمدت دون أن تنبس بكلمة حتى سمعته يهمس "أحبك يا نارياساً.."

ارتجفت بي ناريا وهي تسمعه يناديها بهذا اللقب للمرة الأولى.. وشعرت بقلبها يتسارع في دقاته وكأنها تستمع لاعترافه للمرة الأولى.. وقبل أن تجيب سمعته يضيف "لقد كبرت كثيراً، وأنكرت قلبي كثيراً، وقاومت نفسي كثيراً جداً.. كنت أريد حبك لي، وأريد أن أضمك كلما رأيتك قريبة مني.. لكنني تصرفت بعناد شديد وتمسكت بعهد قديم لا ذنب لك فيه"

ونظر إلى وجهها قائلاً "لكنني الآن ندمت.. واستسلمت"

تساءلت بخفوت "وماذا عن عهدك؟"

قال متنهداً "المجرم الحقيقي قد مات على يديّ، أما أنت.. فلا ذنب لك فيه، ولن يعيد موتك أحداً ممن فقدتهم" وأحاط وجهها بيديه متساءلاً برجاء "هل ستصفحين عني يا زهرتي؟"

ابتسمت بعذوبة هامسة "لم أكرهك لأصفح عنك، فمكانتك لم تتغير في قلبي أبداً"

سألها السؤال الذي لا يمل تكراره "أحقاً أنت لي؟"

قالت وهي تنظر له بعينيها اللامعتين "أنا لك دائماً.. وأبداً.."

ضمّها إليه من جديد وهو يهمس بانفعال "أعدك أن تنسي كل ما مر بك من قبل، وأن أعوضك عن معاملتي السيئة لك في السابق.. لنهرب معاً، ونبحث عن سعادتنا في مكان لا يعرفنا فيه أحد.."

انتفضت ودفعته بعيداً قائلة بقلق "نهرب؟ لماذا؟ لقد بذلنا الكثير لنصل إلى هذه المرحلة، فلماذا نرمى جهودنا كلها بلا طائل؟"

قال راجياً "ولماذا الحرص على شيء لن يجلب لنا إلا التعاسة؟ لندع هذا العرش المشؤوم ونغادر هاربين بحبنا قبل أن يحول شيء بيننا وبين ذلك"

قطبت قائلة بإصرار "مطلقاً.. أنا باقية هنا حتى أستعيد عرشي.."

همس برجاء وهو يمسك يدها "أرجوك يا نارياساً...."

سمعوا من يعلمهما بطلب رئيس الثوار مقابلتها، فسمحت بي ناريا له، وشدّت على يد هارولان بيدها مغممة

"لماذا تخشى من البقاء في القصر؟ مهما حدث.. سيظل حبك متغلغلاً في أعماقي ولن يغيره شيء"

تنهد هارولان بأسى وهو يلتفت بعيداً دون أن تفهم السبب، ولما وصل إليهم الرئيس خاطب هارولان قائلاً "هل

أعلمتها بكل شيء؟"

هز هارولان رأسه نفيماً بضيق وبي ناريا تنقل بصرها بينهما متسائلة، فوجه الرئيس الحديث إليها قائلاً "لقد وصلتنا نتائج استفتاء الشعب قبل قليل، وقام مجلس الحكم برؤية النتائج، لذلك رأيت أن أعلمك بنتيجتها قبل أن يُبث الخبر غداً صباحاً عبر أرجاء المملكة"

شعرت بانفعال شديد وهي تقول "وما كانت النتيجة؟"

تنهد الرئيس قبل أن يقول باحثاً عن الكلمات الأنسب لإيصال الخبر إليها "لقد اختار الشعب الملك القادم على المملكة.. لكنه.... لم يكن أنت"

ظلت تنظر إليه بعدم فهم وهي تشعر بهارولان يضغط على يدها، فعادت تقول "ما هي نتيجة الاستفتاء؟" قال الرئيس بلهجة أوضح "إنه ليس أنت يا بي ناريا.. وليس أي شخص آخر من العائلة المالكة.. الشعب يريد التغيير، ويريد شخصاً يمثل هذا التغيير بشكل أفضل" فصاحت "من هو؟"

رأت نظرات الرئيس تتجه إلى الواقف قربها، فالتفت بدورها إليه سائلة بإلحاح "من هو يا هارولان؟ أنت تعلم، أليس كذلك؟"

أشاح هارولان بوجهه والضيق يبدو جلياً عليه، ثم سمعت الرئيس يقول "إنه هارولان.."

اتسعت عيناها بغير تصديق وهي تنظر للرئيس تارة ولهارولان تارة أخرى، ثم قالت بصوت مرتجف "إنه أنت؟" قال هارولان بضيق "هذا أمر لم أقبله ولا يمكن أن أفعل.."

جذبت يدها من يده وأشارت له بإصبع مرتجف قائلة "أنت الملك الجديد؟ اختارك الشعب أنت وبنذني؟ كيف؟ لماذا؟! ما الذي رأوه فيك في هذه المدة القصيرة؟!"

قال الرئيس "رأوا ذات الشيء الذي رأيته أنت فيه وأحبيته لأجله.. شخصية هارولان وصفاته تجذب كل من عرفه، ولذلك رأى الشعب أنه أقرب إليهم وإلى الأمام من شخص عاش طوال عمره في قصر مرفهاً.."

أمسكت رأسها بيديها وهي تتمتم "لست أصدق هذا.. لن يصدق أحد.."

أمسك هارولان كتفها قائلاً "صدقيني يا بي ناريا.. أنا لا أريد العرش، ولم أحلم يوماً به.. كل ما أريده هو أنت.. أنت فقط"

صرخت وهي تدفعه "كاذب.. كل ما تقوله كذب وتزييف.. أنت تخدعني لتسلبني ما هو حق لي، وتظنني

سأرضى بالقليل الذي ترميه في وجهي؟.."

ورمته بكل ما طالته يداها وهي تصرخ بهستيرية "أخرج.. لا تقترب مني مرة أخرى.. أنت انتهازي والكل منخدع بكلامك المعسول.."

حاول هارولان أن يوقفها، لكن الرئيس جذبه معه عنوة حتى خرجوا من الجناح وقال "أتركها، إنها صدمة كبيرة ما كانت تتوقعها.. ووجودك لن يساعدها الآن.. لم أكن أرغب بوجودك في هذه اللحظة، لكنني فوجئت أنك سبقتني إليها"

وسار عائداً إلى قاعة الحكم، ولما التفت خلفه وجد هارولان يقف قرب باب الجناح مطرقاً، فسأله الرئيس "ألن تأتي معي لنرى ما قرره مجلس الحكم؟"  
قال هارولان بلهجة مريرة "أنا متأكد أنها تبكي الآن.. أشعر بكل ما تشعر به من صدمة ومرارة، لكنني غير قادر على أن أكون قربها في محنتها هذه"  
تنهد الرئيس وغادر بصمت تاركاً الإثنين وهو متعجب من حالهما.. وكأنه مقدر لهما الاختلاف والبعد مهما تقاربا، كما أنهما من عالمين مختلفين لا يمكن أن يلتقيا..

\*\*\*\*\*

ظلت جوين تدور في الجناح تقضي بعض الأعمال ونظراتها لا تبتعد عن بي ناريا التي جلست على كرسي قرب النافذة لا تتحرك وهي تراقب سماء يناساً الصافية.. ورغم أنها لم تُظهر البكاء إلا أن جفنيها المنتفخان كانا يدلان على أنها تقضي لياليها باكية حيث لا يسمعها أحد.. وبعد أن ضاقت برؤية بي ناريا بهذه الحال اقتربت منها وركعت قربها قائلة بخفوت "حتى متى يا مولاتي؟ أتظنين أن الملك والمملكة الراحلين سيسعدهما رؤيتك بهذه الحال؟ متى ستتجاوزين حزنك وتلتفتين لأمر أهم في حياتك الجديدة؟"  
غمغمت بي ناريا بمرارة "وما الذي تبقى لي لأهتم بأمره؟ فقدت العرش الذي كان محور حياتي، وفقدت والديّ تبعاً، وقريباً سأطرد من القصر لأعيش مع العامة حياة لا أعرف عنها شيئاً.. فما الذي يمكن أن أتطلع إليه؟"  
قالت جوين مبتسمة "لديك شخص تهوينه ويهواك.. ويمكنك أن تعيشي معه بسعادة تامة ما بقي لك من العمر وتؤسسي عائلة خاصة بك.. أليس هذا أفضل من التحسر على أمور لا تملكين منها شيئاً؟"  
وتنهدت مضيفة "ليتنني أجد من يحبني بمثل هذا الحب.. لتنازلت عن كل شيء لأحتفظ به"  
علقت بي ناريا قائلة "كان هذا سابقاً، أما الآن فلا بد أن العرش قد أعمى عينيه.. لم أسمع منه نبأ منذ انتخابه ملكاً.. ورغم أنه أنكر رغبته في العرش، لكنني أعلم الآن أنه قبل به وأصبح ملكاً رسمياً على المملكة.. فلا أظنه سيتخلى عنه الآن لأجل أي حب مزعوم"  
قالت جوين هازة رأسها "هناك أشياء لا تعلمينها.. لم يرضَ هارولان بالعرش إلا بعد محايلة طويلة من رئيس الثوار.. وهارولان يحضر إلى جناحك عدة مرات يومياً ليسألني عنك ويطمئن عليك، مع أن بإمكانه إرسال رسول أو استدعائي إليه.. وفي كل مرة أراه في لهفة لرؤيتك، لكنه يخشى من رفضك له، ويظنك تكرهينه بعد كل ما جرى"  
وأضافت دون أن ترى اهتماماً بادياً في عينيها "صحيح أنه أصبح الملك، لكنه رفض إجراء أي تنصيب رسمي، مكتفياً فقط بإعلان الخبر في الأقاليم كلها.. ولو رأيته الآن لما رأيت اختلافاً في شكله أو تصرفاته عن السابق.. فهو يرفض الملابس الباذخة ويرفض الإقامة في جناح الملك السابق، مفضلاً إحدى الغرف الصغيرة في القصر.. إنه ليس ممن يهوون السلطة أو الحياة الباذخة، ومتأكدة أنه سيتخلى عن هذا كله لأجلك.. لكن أنت

من لا يستطيع التنازل.."

قالت بي ناريا بحدة "أنتم لا تفهمون شيئاً.. كيف يمكنني التنازل عن عشرين سنة من عمري قضيتها والعرش نصب عيني.. أن أتنازل الآن معناه أن أعترف بأنني قضيت السنين تلك كلها في هباء.."

تنهدت جوين يائسة وقالت "أنت خسرت شيئاً وكسبت شيئاً أكثر قيمة.. فلا تخسري ما هو أثمن لأجل شيء وضع.. فستندمين على هذا ما بقي لك من العمر"

وتركتها لتعود لأعمالها بينما بي ناريا تغغم "ولم يجب أن أخسر أي شيء؟ لم لا أحصل على العرش وعلى حب هارولان معاً؟ ألا أستحق هذا؟"

\*\*\*\*\*

سارت بي ناريا بخطوات وثيقة رافعة رأسها في ممرات القصر باتجاه قاعة العرش.. رفضت أن يقودها الجنديان اللذان حضرا لاصطحابها وأصرت على أن يتبعها بعدة خطوات.. كانت تشعر بنظرات الجنود والوصيفات الذين تمر بهم وكأنها ضحكات استهزاء وسخرية لما آل إليه حالها، لكنها تجاهلت كل هذا حتى دلفت القاعة لتجد مجلس الحكم المؤقت مجتمعين وسطها وهم بانتظارها..

وقفت بي ناريا وسط القاعة متسائلة "ما الذي استوجب استدعائي اليوم؟"

قال لها رئيس المجلس "إجلسي يا بي ناريا"

قالت بأنفة "ليس مما يشرفني الجلوس مع من لا يمنحني الاحترام الكافي"

التقت النظرات بصمت دون أن يعلق أحد على قولها، ثم سمعت رئيس المجلس يقول لها "بي ناريا.. بصفتي رئيس مجلس الحكم أبلغك بالقرار الذي أجمعنا عليه بشأنك.. نسبة لكونك الملكة السابقة، ولإصرارك السابق على العودة للعرش، بالإضافة لرفضك إقامة مجلس حكم ورفضك من اختاره الشعب حاكماً عليه.. لكل هذا فقد أجمع المجلس أنك تشكلين خطراً على أمن الحكم الجديد ولا يمكن التغاضي عن هذا"

قطبت قائلة بجفاء "ماذا تعني؟"

أجابها وهو يعقد يديه "معناه أن المجلس قد أصدر عليك حكماً بالنفي مدى الحياة.."

اتسعت عيناها ذهولاً وهو يضيف "سيتم نفيك إلى إقليم بيران الجنوبي.. وسيتم تأمين مسكن لك هناك لكن لن تُعَفِّي من المراقبة سنين طويلة.. كي نضمن ألا تحاولي العودة إلى يناساً واستعادة الحكم.."

صاحت "أنت تهذي ولا شك.. تنفوني؟ بأي حق؟ لا يمكنكم إجباري على مغادرة يناساً"

قال أحد الأعضاء بلهجة حادة "لا يمكنك التطاول على الرئيس.. هذا قرار نافذ ولا يمكنك رفضه"

ظلت تنتظر لهم بغير تصديق وهي تقول "وما الذي سأفعله في إقليم المزارعين ذاك؟ هل سأزرع وأحرث لاكتسب قوتي؟ أنتم تمزحون دون شك"

قال الرئيس "سيمنحك المجلس بعض الأموال التعويضية لكنها لن تدوم.. ربما عليك البدء بالتفكير في العيش

من بذل يديك.. إن لم تتعبي فلن تجدي ما تأكلينه.."

صاحت بحدة "أموال تعويضية؟ تعوضونني عن عرشي ومملكتي وقصري وحياتي كلها ببضع نقود تجودون بها علي؟! أنا أرفض كل هذا.."

قال الرئيس بحدة "مهما كان رأيك، ومهما طال اعتراضك فالحكم سينفذ عليك غداً صباحاً.. الأفضل لك أن تسلمي بالأمر.. فهذا أفضل من الحكم بالإعدام وهو ما كان سيفعله أي ملك آخر" نظرت لوجوههم بغيظ وقالت رافعة وجهها "لو ظننتم أن نفيمي سيجعلني أتخلى عن استعادة عرشي فأنتم واهمون.. سأعود.. وسأستعيد العرش مهما يكن.."

وغادرت المكان بشكل عاصف تاركة إياهم يتبادلون النظرات، ثم غمغم الرئيس "فتاة صعبة"

قال أحد الأعضاء بحق "لقد أخبرتكم أن سجنها مدى الحياة أفضل من إطلاقها.. إنها مجنونة بالعرش"

قال رئيس الثوار "سجنها سيؤجج مشاعر الغضب في نفسها أكثر وسيجعلها أكثر تصميمًا على استعادة العرش.. ربما يغدو بيران قادراً على تغييرها أكثر مما نحاول إجبارها عليه.."

أما بي ناريا فقد اتجهت بغضب إلى جناحها وفتحت بابه بعنف.. كانت إحدى الوصيفات فيه فطردتها بي ناريا بعصبية وأخذت تدور في المكان وهي تشعر أن جسدها كله يرتجف.. لم يجر أي أمر منذ شهر كما كانت ترغب به.. كل الأمور تعاكسها، وكل الأحداث تدفع في نفسها مرارة وتبعدها أكثر عن العرش.. لماذا؟ أهى حقاً لا تستحق العرش؟ أهى حقاً لا تستحق الحصول على أي شيء مما رغبت به؟ أبهذا السوء يرونها؟.. وقفت وسط الجناح الذي شهد عمرها كله والمرارة تتزايد في حلقها.. تأملت كل ركن فيه وهي تتذكر كل نقش وكل زاوية فيه.. مهما صرخت ورفضت وعارضت، فنفيها سيتم رغماً عنها بعد أن فقدت كل من كان يساندها ويعينها..

سمعت خطوات خافتة تقترب منها فكادت تلتفت لتطرد صاحبها، لكنها تعرفت صاحب تلك الخطوات دون أن تراه مما دفعها لتتنهد بمرارة وهي تشعر بدقات قلبها تتزايد.. وبصمت، شعرت به خلفها وذراعيه تحيطان كتفيها وهو يضمها دون أن يواجهها.. رغماً عنها بدأت دموعها تتدافع ووجدت نفسها غير قادرة على كتمان بكائها، فتمسكت بذراعيه وهي تبكي وقد شعرت بدفء مشاعره التي غابت عنها منذ مدة لم تره فيها أو حتى تلمح طيفه.. وقالت بصوت متحشرج من بين بكائها "لماذا؟ لماذا يجب أن أفقد كل شيء بهذه الطريقة؟ لماذا لا يمكنني الحصول على أي شيء أتمناه وأرغب به؟ لماذا لا أقدر على التحكم بمصيري وأجد أنني تحت رحمة أهواء رجال آخرين؟ أنا أكره كل هذا.."

واستطردت دون أن يعلق وهي تضغط على ذراعه أكثر وصوتها يرتجف "حتى أنت.. نسيتهني ما إن حصلت على العرش.. وكأني لا أعني بالنسبة لك شيئاً.. حتى حبك فقدته مع كل ما فقدت في حياتي.."

سمعت هارولان يهمس "أنت تعنين لي كل شيء.. لقد منحك قلبي وهو أغلى ما أملك، لكنه لم يكفك يوماً أو يملأ عينيك.."

غمغمت بمرارة "وما الفائدة؟ غداً سيتم نفيمي إلى أقصى الكوكب.. ولن تراني بعدها.."

قال لها "مازال عرضي قائماً.. سأذهب معك إلى أقاصي الأرض.. أهم شيء بالنسبة لي أن تكوني معي.."  
التفتت تتأمل وجهه من بين دموعها.. كان هو ذاته هارولان.. لم يتغير قبل الملك وبعده.. ونظراته الحانية لم تتغير  
عما رأتها في إقليم نيما عندما باح لها بمشاعره أول مرة..

مسح دموعها بأصابعه وهو يغمغم "أهذه الدموع خوفاً من فراقك أو فراق العرش؟"

قالت بشيء من الأمل "ولماذا يجب أن أفارق أحكما؟ لم لا أبقى معك هنا في يناسا؟"

ابتسم معلقاً "الحل الوحيد أن تكوني زوجتي.. عندها سيرضخ مجلس الحكم ويوافق على بقائك في يناسا.."  
قالت باهتمام دون أن ترى اللفتة في عينيه "ولم لا تتنازل أنت عن العرش لي؟ لن يعترض أحد بكلمة عندها..  
أليس كذلك؟"

تنهد قائلاً بضيق "لن يعطوه لك أبداً.. استسلمي يا بي ناريا.. العرش ليس ملكاً لك.. لقد امتلكته فترة وأن  
انتقاله إلى غيرك"

قالت باعتراض "لكن أنت...."

قال بجدية "حتى لو نفذت كل ما تقولينه، فور تنازلي عن العرش سيولون شخصاً غيري ولن يسمحوا لك  
باسترداده.. إن عارضت أكثر من هذا قد يلجأون لقتلك كحل أخير"

تساءلت برجاء "ألن تساندني؟ الشعب كله يحبك ويتبعك.. وسيطيعك لو جاء أمر توليتي منك.. كما أنك ستبقى  
معي طوال العمر، أليس هذا ما ترغب به؟"

تراجع عدة خطوات ونظراته تشي بضيقه ويأسه، فقالت بإلحاح "أليس كذلك يا هارولان؟"

أجابها بشيء من الحدة "حتى متى ستركضين خلف عرش زائف ومُلك لن يمنحك إلا التعاسة؟ كفاك تذلاً  
لتحصلي على شيء لا يساوي حفنة تراب.."

قالت بحدة "أنا لا أتذلل لأحد.. لكني لا أقبل كل هذا الظلم الواقع علي.."

قال بغضب "لم يظلمك أحد، لكنك لن تستفيقي من أحلام طفولتك أبداً.. لقد منحتك كل ما أملك، لكنك تركلين  
هذا باحتقار وكأنه لا يساوي شيئاً.."

واستدار مضيفاً بحدة "لقد عرضت عليك التنازل عن كل شيء والرحيل، لكن هذا لا يرضي غرورك بما فيه  
الكفاية.."

أمسكت يده قبل أن يغادر وهي تقول بصوت مرتجف "لكنني أحبك يا هارولان.. حقاً أحبك ولا أريد التخلي

عك.. أريد فقط أن تساندني في المرحلة القادمة، فهل هذا كثير؟"

ظل صامتاً بوجه مطرق مما منحها أملاً، فهمست برجاء "أرجوك.."

فوجئت به يجذب يده وهو يقول مشيحاً "الوداع يا بي ناريا.."

ظلت تنتظر له بأسى وهو يغادر الجناح ليتركها غارقة في الصمت المرير، وسار بخطوات حانقة في الممر ووجهه  
يفضح ضيقه وألمه.. عندما فوجيء برؤية رئيس الثوار الذي وقف جانباً ينظر له قائلاً "إن لم تجد طريقة للصالح  
مع بي ناريا؟.."

قال هارولان بدهشة وضيق "منذ متى وأنت تستمع لما يدور؟"

أجاب الرئيس بابتسامة "منذ أن رأيته تتسلل لجناحها بصمت.. ولم يكن ذنبى أن الأبواب المشرعة لا تكتم الأحاديث.."

أكمل هارولان طريقه والرئيس قرب به يتساءل "أحق ما قلته عن تنازلك للعرش وذهابك إلى بيران معها؟"

قال هارولان بمرارة "لو أن هذا كان يكفيها، لما ترددت في فعله لحظة واحدة.. لكنه لا يكفيها أبداً"

ربت الرئيس على كتفه معلقاً "لا تخف.. الزمن كفيل بنسيان كل شيء.. حتى بي ناريا العنيدة ستتنسى العرش، فقط أعطها الوقت الكافي.."

وأضاف وهو يرى نظراته المريرة "أما بالنسبة للعرش، فلا يمكنك نبذه الآن والمملكة في هذه المرحلة الحرجة.. لا تنس أن أبناء هيمانيا يتطلعون للحصول على بعض حقوقهم المنسية.."

تنهد هارولان بضيق وغمغم "حتى متى علي أن أصبر على هذا؟"

قال الرئيس مبتسماً "لا أستطيع أن أطمئنك كثيراً.. ستمضي شهور طويلة قبل أن تستقر الأمور في المملكة.. حتى هذا الوقت، عليك بالصبر.."

غمغم هارولان بصوت مثقل "لا تخف.. لا أملك إلا أن أفعل هذا.."

وسار باتجاه قاعة العرش وهو يتأمل ملامح القصر اللامع.. كان يفتقد الفضاء، والهواء المنعش، والأرض الواسعة.. كان يمقت القصر الذي يراه ضيقاً ويرى نفسه فيه حبيساً، ولولا وجود بي ناريا لما بقي فيه يوماً بعد استتباب الأمن.. تنهد من جديد وغمغم متأملاً السماء من نافذة القصر "من يدري ما سيحدث في الأيام المقبلة.."

\*\*\*\*\*

قضت بي ناريا ليلتها الأخيرة في القصر كأسوأ ما يكون.. لم يقاربها النوم طوال الليل وظلت أسيرة أفكارها المريرة وهي تتقلب في سريرها الوثير.. لم يستوعب عقلها لماذا يرفض الجميع توليها العرش من جديد، رغم أنها كانت تنوي إصلاح جميع أخطائها السابقة.. ألانها امرأة؟ ألانها وريثة غير شرعية؟ أم بسبب مانيم؟.. ظلت تتنهد بأسى وهي تفكر في المصير الذي ينتظرها في الغد.. ما الذي سيواجهها في إقليم بيران؟ هل ستبقى وحيدة ومنبوذة؟ هل ستستسلم لمصيرها الظالم هذا؟ كانت لا تنوي الهرب في هذه اللحظة، فالرعب والخوف الذي واجهته أثناء هروبها السابق يردعها عن تكرار التجربة.. وهي تعلم أن هربها يعني المغامرة بحياتها، فلن يتورعوا عن قتلها هذه المرة..

ظلت تفكر في ساعاتها الأخيرة الباقية في القصر.. وتفكر في هارولان بلا انقطاع.. بدا غاضباً أشد ما يكون عند مغادرته جناحها.. فهل ستراه قبل مغادرتها؟ أم أن غضبه سيمنعه من وداعها للمرة الأخيرة؟ رغم أنها لا تزال مصرة على أحقيتها في العرش، إلا أنها مدركة أنها قد خيبت أمل هارولان وحطمت قلبه بتفضيلها العرش



عليه.. تنهدت وهي تفكر بمرارة.. لو أنها تراه للمرة الأخيرة، لو أنها تجد الفرصة لتعتذر، لو أنها تبوح له  
بمكنون قلبها للمرة الأخيرة.... لكن أوان هذا كله قد فات..

مع طلوع شمس اليوم التالي، كانت بي ناريا تجلس قرب النافذة تتأمل يناسًا كعادتها وقد ارتدت من الملابس  
أبسطها وبدا الإرهاق جلياً على وجهها.. ولما سمعت باب الجناح يفتح التفتت إليه بأمل، وإن خاب أملها عند  
رؤية جوين.. فتنهدت وهي تستدير إلى النافذة من جديد.. اقتربت جوين منها مغممة "تبدن محبطة لرؤيتي يا  
مولاتي.. هل كنت تتمنين رؤية شخص آخر؟"

قالت بي ناريا بهدوء "لا داعي لمناداتي بهذا اللقب، فأنا لم أعد أملك أي سلطة أو منزلة في القصر.."

قالت جوين بابتسامة وهي تجلس قريباً منها "هذا لا يمنع أن أعاملك بالاحترام الواجب.."

سمعا الباب يفتح من جديد فألقت بي ناريا نظرة خاطفة على الداخل قبل أن تعود لجمودها، بينما قال الجندي  
الذي دلف لتوه "سيدتي.. عليك المغادرة لتنفيذ أمر مجلس الحكم خلال لحظات.."

قالت له جوين برجاء "امنحنا بعض الوقت أرجوك.."

وافق الجندي وغادر بصمت، بينما أمسكت جوين يد بي ناريا هامسة "أنت تريدين رؤية هارولان.. أليس كذلك؟  
يمكنني أن أطلب منه لقاءك قبل رحيلك وأنا متأكدة أنه متلهف لهذا أيضاً"

قالت بي ناريا وهي تقف "لا فائدة من هذا الآن.. قطعاً هو يكرهني، وسيبقى محاولتي هذه كإذلال لي..  
أفضل ل الرحيل محتفظة بما بقي لي من كبريائي.."

قالت جوين بأسى "لكن.."

ربت بي ناريا على كتف جوين مقاطعة "رغم أنني أديتك في السابق، لكنك قدمت لي الكثير وأخلصت لي أكثر  
ممن كنت أثق فيهم طوال عمري.. ولن أنسى لك هذا"

عانقتها جوين قائلة "سنفتدك كثيراً.."

ربت بي ناريا على كتفها، ثم غادرت الجناح لتجد الجندي بانتظارها.. فتقدمها عبر ممرات القصر وبي ناريا  
تسير برأس مرفوعة دون أن تلتفت لما حولها.. رأت جميع من في القصر يحنون رؤوسهم مودعيها، لكنها لم  
تعلق بكلمة والجندي يقودها عبر ممرات القصر إلى خارجه حيث مهبط الطائرات الخاص الذي تتوسطه طائرة  
جاهزة للرحيل.. وقربها وقف رجال مجلس الحكم ومعهم المستشار بانتظارها.. ألقت بي ناريا نظرة خاطفة  
عليهم دون أن تتوقف عن سيرها، ملاحظة غياب هارولان، وهو شيء توقعته وإن ألمها كثيراً.. كان عدد من  
الجنود ينتظرها في الطائرة لمصاحبتها للتأكد من سلامتها والتأكد من أن قرار المجلس سينفذ دون إخلال،  
والجندي الذي يتقدمها قد تنحى ليتركها تصعد سلم الطائرة..

صعدت بي ناريا سلم الطائرة برأس مرفوع لكن بخطوات مثقلة.. لكن قبل أن تضمها الطائرة في قلبها،  
استدارت ملقية نظرة أخيرة على القصر اللامع تحت أشعة الشمس.. بحثت عيناها طويلاً في أرجائه بانتظار  
ظهور وجه تتمنى رؤيته ولو مرة أخيرة، ولما باءت محاولتها بالفشل استدارت وغصة تملأ حلقها، فدفقت إلى  
الطائرة بصمت ليغلق الباب خلفها.. وبدأت الطائرة استعدادها للإرتفاع والرحيل..

وقرب إحدى النوافذ، كان هارولان يقف يراقب مغادرة بي ناريا دون أن يحاول الظهور لعينيها.. لم يظن يوماً أنها قد تتشبث بعنادها وتختار العرش رافضة حبه، لذلك كانت مرارته أكبر ونظراته لا تتعد عنها عندما سمع من يقول "أأنت واثق أن هذا قرار صحيح؟"

التفت هارولان ليرى تيمين يقف قرب مضيئاً "أما كان من الأفضل أن تكون هناك.. لتراها وتودعها للمرة الأخيرة؟"

قال هارولان متنهداً بمرارة "لا.. القرب يزيد الجرح سوءاً.. بي ناريا لم تر فيّ إلا وسيلة للوصول للعرش.. وهي قد خسرت الآن لذلك لا معنى لوجودي قربها.."

ابتسم تيمين قائلاً وهو يغادر "لكنها كانت تبحث عنك بعينيها.. وهذا ينفي كل ما قلته وما تظنه..". صمت هارولان وهو يتأمل الطائرة التي ابتعدت محلقة في السماء الصافية حتى غابت في الأفق.. ثم غادر موقعه بصمت وهو يشعر أن القصر يضيق أكثر فأكثر به.. جدران البلورية الشفافة تبدو له قاتمة مظلمة، وممراته الفسيحة أضحت تكتم أنفاسه.. كان وجود بي ناريا يزيل ضيقه هذا ويشعره بشيء من الراحة.. لكن الآن وقد غادرت، غدا يشعر أنه وحيد وسط كل هذا الجيش الذي يعيش في القصر، ويضيق صدره في هذا القصر الواسع، وكل دقيقة تمر تبدو بالنسبة له كدهر كامل.. ولا يعلم حتى متى سيتمكنه التحمل قبل أن يلوذ بالفرار من كل هذا..

\*\*\*\*\*